سهيل ياسين في "خطاب عاثر"

سرديات تبحث في اليوتوبيا المستحيلة

علي ياسين

لعل قراءة واعية ومتصلة باليومي والحياتي، المألوف أو حتى اللا منسجم في مجموعة "خطاب عاثر" القصصية للكاتب سهيل ياسين، "دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - ٢٠٠٦"، تفضي بنا إلى هندسة سردية للواقع المعيش، حيث يتناوب السارد بمهارته في التقنية السردية والوصفية مع الواقع المسرود عن إشكالياته ومعطياته. مدونة تحتفي بالسرية والالتباس في أكثر قصص المجموعة، يتصيد ياسين، أجنة قصصه وحكاياته المنبثقة من اللا مكان، لكن دائماً، ثمة واقع ورؤى متعددة له، وثمة أيضاً، وعي خلاق، يهندس سردية الأفعال والأحداث مقابل وصفية تقدم الشخوص والأمكنة والأشياء.

"ربما لأن الأشياء يمكن أن توجد بلا حركة، لكن الحركة لا توجد بلا أشياء". إذاً، ثمة وعي، يعمر ويحكم

وهكذا، فنحن منذ البداية، لسنا تجاه فضاءات مكانية، فحسب، بل نحن تجاه عوالم "يجيئون بهيئات وأشكال مختلفة، عجائز، مسنين، شحاذين، عميان، ضالين سبيلهم، يستطلعون خبايا البيوت نهاراً، سرعان ما يخطفون تحت ستر الليل، كل ما تقع عليه أيديهم الشبحية، لذا فلا غرابة أن تخشى المدينة برمتها هذه الأيام إيواء رجلٍ واحد من العابرين الغرباء ليلاً ولو ظل حتى الصباح في العراء" ص,٧

لو افترضنا تقسيم هذه القصة، مقاطعياً، فإن المقبوس المشار إليه سيحتل التسلسل الثالث من الخمسة عشر مقطعاً التي تضمنتها القصة، لكنه مقطع محوري، يقوم منطوقه السردي على اختزال الشخصيات في حيزها المكاني / المدينة، ومن ثم الإشارة إلى شخص تخشاه المدينة ذاتها، لنكتشف أنه البدوي الذي ينتمي إلى حيز مكاني آخر هو البادية أو الصحراء، إذن، ثمة تناقض جلي وواضح بين شخصيات المدينة وبين شخصية واحدة وافدة إلى ليلها هي شخصية البدوي.. ولا تفاصيل لأبعاد الحيز الصحراوي.

في حين تتعدد وتتنوع أشكال ومجالات الحيز المديني، وكذلك يتنوع فضاؤه الزمني، بين ماض تتناقله مرويات شفاهية، تخلع بلاطات منقوشة بزخارف إسلامية". ص, ٨٠

في تصور أن المدينة هي الفضاء الرئيس للشخصيات، سنجد الكاتب، يشكله على وفق أبعاد الشخصيات الرؤيوية لطبيعة وجودها الموضوعي، ولعل عودة إلى المقطع الأول من القصة، ستكشف لنا الخطوط الرئيسة للمدينة التي تضم المقامرين والأرملة عبلة والفتية الصغار والأزقة.. الخ، وفي هذا المقطع يطل علينا السارد، مباشرة ليتحدث عن الأم والكلاب الراكضة وراء مصدر الضجة التي عصفت بالمدينة.

ثم يقدم لنا نبذة عن أبيه على لسانه هو، ليبلغنا مرة واحدة بتحريض مونولوجي بأن أباه قال: "إن بلدة كانت أرضها يوماً للغزاة واللصوص، الاحتياط فيها واجب" ص٩، ويعود السارد بعد أن ذكر أن وراء الضجة في الأزقة هو "سالم السماك"، ليؤكد أنه، مجنون وكذاب وثرثار ودجال عبر كلمات الإثارة الساخرة، هنا تبدو قوة الصورة الرمزية لهذه الشخصية والتي ستمنح الرمزية نفسها لشخصية البدوي في نهاية القصة، لدينا في هذا القص السردي، شخصيات عدة (الأرملة + المقامرون، الأم - الصبية الصغار + سالم السماك" "الأب + البدوي وهما شخصيتان، يستعيد الراوي الأولى والتي بدورها تستعيد الثانية" تتحرك المجموعة الأولى على مستوى القص. فيما تتحرك المجموعة الثانية على مستوى زمنية الحدث، أعني بها، الأب + الأم + البدوي، ولو دققنا بعمق في هذا النص، سنجد أن الذي يعمق الصورة الرمزية ويجعلها ملتبسة، بل قابلة لتأويلات عدة أو حمالة أوجه، كما يقال، هو الراوي، فالجواد تفترسه كلاب المدينة، فيما يخرج البدوي من تحت عباءته حدوات الجواد ليضعها عند أعمدة بوابة المدينة وربما يمضي!!

وفي قصة "الفراقات الأخيرة" سنجد أنفسنا، منذ البداية أمام وصفية مكثفة، تشي بالكثير من الرموز والمفهومات الإنسانية، وهي وصفية، احتفت بالمكان والشخوص وتداخل الأجيال والرؤى والتصورات في الحيز المكاني / الحافلة، وهو حيز يتحرك بمحمولاته من المسافرين، إذن، هي حركة للحياة والأشياء وسط حركة الطبيعة المنظور إليها تتخللها، مفترقات مكانية ولقاءات غير مرتقبة، تنفجر بفعلها، تداعيات، هي الأخرى، انضغطت بفعل الزمن والأحداث والتباعد، يتقاسم محورية القصة، الصبي وطائره العجيب، ويقابلهما الأم / صاحبة السقيفة وابنها، الغائب، وسيشكل الغياب السمة المشتركة بين هذه الرموز المتلازمة والمفترقة في آن معاً، فالطائر سيغيب، مثلما غاب الابن عن أمه، لكن ثمة مفارقة بين الغيابين، "كان الصبي، ممسكاً بطرف خيط، ينتهي بأرجل أبرية لطائر غريب، ملأ فراغ الحافلة بضجيج متعال، علق أحد الركاب بعد أن خلع نظارته الطبية:

إن مثل هذه الطيور. شأنها عجيب، سرعان ما تفر.. إنها تهرب دائماً.. من الصعوبة تدجينها" ص, ٧٤

وهكذا، فنحن أمام سيطرة الصورة الرمزية لهذا المخلوق. فهو طائر ممسوك ويرفض التدجين حتى الموت، بكل تأكيد، بحثاً عن حريته المستلبة.. ولكي يتوافق الترميز إلى الغياب والحرية على حد سواء، بين الرموز والشخصيات المحورية، يلجأ السارد إلى منطوق الحوار بين الأم وهي تخاطب الصبي من جهة والراوي من جهة أخرى. "قالت صاحبة السقيفة:

- خذ بقايا الخبز يا صغيري، والقم بها طائرك العجيب، علّه يصمت، إنه كأي غريب، يغيب عن أهله، أجل إنه ينوح عليهم، كبكائي المر على غائبي مذ غادرني في تلك الليلة الثلجية البغيضة..

- قلت: ما الذي تصنعينه لو يعود لاحقاً؟

- آه.. لو عاد حقاً، سأملأ الأرض التي لن تسعني زغاريد وأغاني" ص,١٦

وتستمر الرحلة، ماضية في طريقها، عبر القرى المبعثرة الفقيرة، فيما تتشتت أفكار المسافرين الناعسين، لكن أبرز تلك اللحظات، عندما أطلق الأب الطائر إلى الخارج. إلى فضاء حريته. "الطائر ما زال يزعق، يفرد جناحيه بقوة ينفلت من بين يدي الصبي، يسقط في أحضان أبيه، بامتعاض يتململ الأب، يزيح زجاج النافذة جانباً ويلقي بالطائر خارجاً، يلاحقه الصبي بنظرات كسيرة" ص٧٧، وهكذا حلق الطائر الذي لم يبق منه في الحيز المنطلق، سوى ريشة تدور فوق رؤوس النيام من المسافرين، وبضع حسرات مؤلمة تنطلق من فم الصبي الصغير.

أما قصة "ذاكرة النار" فهي ذاكرة نار الحرب بامتياز، قصة، يبدأها الراوي بالوصف مباشرة، معتمداً في ذلك على ضمير الـ(نحن) ، والمكان، هو جبهة قتال، وينتقل من وصف الأنا / الآخر، إلى وصف المكان، الذي تدور في فضائه رحى الحرب التي تتقد نارها بالجنود المساقين إلى ماكنتها قسراً. "نحن المستنفرين، هنا، نتحسس آلاتنا الحربية، اعتدة بنادقنا، أقراص أسمائنا، ضمادات الميدان، مخبئين التماعات حرابنا، بصيص سكائرنا، وأنين أغانينا تحت اشتداد القصف والبرد والظلام" ص٧٤، هنا، يتناوب السارد مع صوت الراوي، بالكشف عن سوداوية المكان ووحشيته، بل قتامة الحياة وانعدامها في حيزه، إذ ثمة بشر مرميون، هكذا، وهم يحملون شاهدات موتهم المدلاة من على صدورهم الواجفة، في المقطع يتغير منطوق الوصف من ضمير الـ(نحن)، إلى ضمير الـ(هو)، الغائب، ثم ليلتقي، مرة أخرى، صوت الراوي مع الـ(هو)، الغائب في حوارية، استذكارية تنتهي بإخبارية موت الجد الذي كان بالامكان أن يكشف للآخرين عما تأخر من حياتهم وما تقدم!!، ثم تبدأ رشقات الرصاص مدوية في المكان، ولا شيء غير صديات رجعها القريبة، كان الهجوم قد بدأ، جالباً معه الموت الزؤام.

"في الأفق الداكن بفعل الغبار، تلاشت العربة المحملة بالقتلى، لم نهتد لأحد منهم، رغم كثرة الدلائل المختلفة، بعد أن دار بنا العريف المأمور حولهم إلى صندوق عتاد قديم وقال: "تلك هي أشياؤهم الخاصة".

كانت خطابات ودية، ورسائل حب، بطاقات صور ضاحكة، اختلطت مع رسوم قديسين متورعين.." ص٨٢-٨٣,

إذاً، يذهب كل أولئك الأحياء من الأحبة والأصدقاء، تثرم أجسادهم ماكنة النار، وتشظي أحلامهم رصاصاتها، ولم يبق، منهم، سوى أشيائهم، وثمة اشباحهم تلاحق من بقي حياً في المكان.

بقي أن نقول، أن كل شخصيات "خطاب عاثر" ، تنسل من بيئة اجتماعية، مغمورة بالفقر والتمزق والصراعات، ولها مشاعر وتصورات إنسانية، تجاه الحياة، وتجدها في كل قصص المجموعة تتحدث بلغة عامرة بالسردية الواقعية للمعيش المنظور والوصفية اللاذعة لمشهد المكان وخلفياتها الاستثنائية والمعقدة. باختصار، هي كيانات اجتماعية مأخوذة بالحياة والبراءة، غير أن الحركان والاغتراب والفقر والحروب، كل ذلك يمنعها من التواصل بقوة، ثم لتبقى تتطلع إلى يوتوبياها المستحيلة، ولو استثنينا قصة "وجه السيد" الذي يرسم ملامحه، رسام بارع، في بضع دقائق، دون الحاجة إلى استذكار أو تأمل خطوط وجه، السيد / الطاغية، إن يعيد تشكيله في كل مناسبة ميلاد في مشغل إجباري، يعده رجال السيد ذي الوجه الممسوخ، كما يراه الرسام فحسب، أقول عدا هذه القصة، فإن قصص، عاشق الطيور، مملكة الطرائد، خطاب عاثر، العشاء السري، ترميمات ممكنة، الحصن العتيق، مخبأ في الأعالي، ظلال أخرى، حيوات مؤجلة، ذو القبعة اللبادية، أشياء صعبة الافتراض، الكواكب الزرق البعيدة، لا تخرج عن الإطار العام الذي أشرنا إليه في قراءتنا للقصص الأخرى.

المصادر:

١- جيرار جينيت / حدود القصة / ص,١٥٦

٢- قصص المجموعة

غلاف الكتاب

في مهرجان ربيع الشهادة الثقافي الثاني

تنوعت الفعاليات الثقافية والفنية

آمال ابراهيم محمد

اقيم في كربلاء للفترة من ٣ - ١٠ شعبان الحالي مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الثاني، وهو مهرجان ثقافي حسيني ينظمه مجلس ادارة العتبات المقدسة في كربلاء بالتعاون والتنسيق مع وزارة الثقافة، وتشارك في المهرجان مجموعة من الشخصيات الادبية والثقافية والعلمية من بغداد وبقية المحافظات فضلاً عن المحافظة المضيفة.

تنوعت فعاليات المهرجان - الصباحية والمسائية بين القاء المحاضرات والبحوث - والترتيل القرآني والانشاد الديني فضلاً عن أماسٍ من الشعر - القريض والعامي، وتقديم عروض مسرحية، وضم المهرجان ايضاً معارض للحرف الشعبية والصور الفوتوغرافية والفنون ورسوم الكاريكاتير - ومعارض الكتب واقراص الـ CD.

ساهم في هذه الفعاليات عدد كبير من المؤسسات الدينية ودور الطبع ومراكز البحوث والمنظمات والجمعيات. احتوت هذه الفعاليات منطقة (بين الحرمين) في الهواء الطلق التي بإمكانها ان تستوعب اكثر من مليون مشاهد.

ان المهرجان بالرغم من اقامته للمرة الثانية، وهو مهرجان سنوي الا انه اثار دهشة الزائر لتنوع الفعاليات التي قدمت فيه.

وبالامكان ذكر بعض الملاحظات التي لمسناها خلال المهرجان. - اذ شارك وفد دائرة الفنون الموسيقية باقامة فعاليتين الاولى - محاضرة تطبيقية للمركز الدولي لدراسات الموسيقى التقليدية والثانية المنقبة النبوية لفرقة انغام الرافدين.

كان بامكان الجهة المنظمة للمهرجان الاهتمام بطريقة عرض الصور واللوحات التي عرضت بوسائل بسيطة وفقيرة.

كما لاحظنا ضعف التنسيق بين دائرة العلاقات الثقافية (الجهة التي دعتنا إلى المهرجان) وبين المسؤولين في كربلاء، اذ كانت الضيافة بحاجة إلى اهتمام اكثر وتمنينا على منظمي المهرجان الاتصال بنا واعداد لقاءات مع بقية الوفود المشاركة للحوار وتبادل البحوث وغيرها.. وهذه من اهداف وثمار اقامة مثل هذه المهرجانات الثقافية.. بينما لم نستطع وعلى مدى يومين ان نلتقي باية شخصية ثقافية او ادبية فخسرنا فرصة التعرف على مثقفي كربلاء وبقية محافظات العراق من المشاركين في المهرجان - ناهيك عن الوفود الوافدة من خارج العراق.

ان مهرجاناً من هذا النوع يمكن ان يكون فرصة ذهبية للعديد من الطاقات للتعبير بحرية - وتقديم مساهماتها في كل صنوف الثقافة وانواعها.. كما انه فرصة كبيرة لاثارة العديد من المحاور التي يمكن ان تنصب عليها البحوث والدراسات - لينتهي المهرجان - بطبعها وتوفيرها للقراء على مختلف اهتماماتهم.

قصائد مملولة الشعر

ريسان الخزعلي

١- نهاية فجرية

... بح صوته..

ولم يعد يتذكر دورة الرقصة.

بل لم يتذكر حتى المشي!

...،

بعض ما يتذكره الآن..

أنه كان يرقص ويغني..،

..وأصابعه تفرق الأوراق حسب الفئات.

وكل ما يتذكره..

أنه لا يعرف الليل.

...،

إذن..

هيَ صحوة النهار الجديد..

٢- وجع الحروف

إلى الشاعر: أديب كمال الدين

...نون..

جيم..

حاءٌ..

والنقطة.

لقد أوجعتنا رنة الحروف.

/ ما قبل الحرف.. وما بعد النقطة /.

هي ما قبل النقطة.. ما بعد الحرف.

وانت تكرر ركز الرمح.

وعلى / الألف / سيبقى الرأس طويلاً محمولاً.

سيبقى محمولاً يقطر / حاءً /.

وستبقى / أخبار المعنى / سيفاً..

يخرج من آخر / ياءٍ / حتى الألف.

يخرج مقلوباً من أول / ألفٍ / حتى / الباء /.

أنت / أديب /..

لكن جرحك في الحرف لهيب!...

٣- الصوفي

.. / خرقته / من شدة البياض داكنة.

أقدامه مسلة للخدوش..

وقلبه في الجانبين يضخ الدماء ألواناً..

ربما بعضها الدم الأحمر.

لا يعرف الجهات..

يعرف جهةً واحدةً في جبهته..،

ولا تسع الأرض وسادةَ رأسه..

...،

يختلط الليل بالنهار في طريقه الدائري.

وتتجاور الشمس مع القمر..

قرب عكازه القصير.

يقول حكايةً ويمضي.

لم يلتفت إلا لأشارةٍ واحدة.

هي النهاية...

هي المنتهى...

هي الأنتهاء..

وهي مطلق الهوى.

...،

غائب هو الآن... لأن السماء..

استأثرت بحضوره!